

من الترف، ولكنك ستجدين عنده سعةً ويسراً، ودماثةً في الخلق، وتبسطاً في المعاملة؛ فزوجه كريمة النفس، وبناته صالحات لم يفسدهن الذهاب إلى المدارس ولا استقبال المعلمين. فهذا الرجل أمير يضمنُ ببناته على هذا الفساد، ويرسل أبنائه كلهم إلى القاهرة ليتعلموا فيها وليصيروا فيما بعد موظفين كباراً كالمأمور والقاضي والمهندس، وإذا أقبل الصيف وعاد هؤلاء الشبان من القاهرة امتلأ البيت فرحاً ومرحاً، وأصبحت أيام الأسرة كلها أعياداً، وازداد حظ الخدم من الرغد والسعة ولين العيش. وأنا كثيرة الاختلاف إلى هذا البيت منذ استقرت هذه الأسرة فيه منذ أعوام وأعوام، وقد ربّيت أبنائها وبناتها، وقد تبنت منهم واحداً بعينه هو الآن شاب نجيب سيكون بعد قليل موظفاً كبيراً، وهو يعرف لي هذا الحق ويحبني ويكرمني ويؤثرنني بالخير والمعروف، قلت: وكيف تبنيته؟ قالت وهي تضحك: أتجهلين هذه العادة؟ لقد أخذته حين كان وليداً فأدخلته من بين ثوبي وبيني، أدخلته من جيبتي وأخرجته من تحت ذيلي، فأصبحت كأني والدته، وأصبح لي عليه حق الأمهات وله علي حق الأبناء. ستعملين في هذا البيت وسترضين، وسأراك كل يوم إذا أصبحت وسأراك إذا أمسيت؛ فليس بين هذا البيت وبيننا إلا خطوات، وأنا أعمل فيه ساعات من نهار. وقد تحدثت عنك إلى ربة البيت فعرفتكَ وعرفت أمك وأختك وقبلتك راضية مسرورة، فهل بنا فقد تركتها على أن أعود بك إليها بعد لحظات، ولست أخفي عليك أنها كرهت بعض الشيء استخدامك بعد أن خرجت من بيت المأمور لما بين الأسرتين من مودة، ولكنها لم تطب نفساً عن تركك عرضة لما يتعرض له الفتيات من الشر بعد أن عرفت أمك وحمدت عشرتها، فهل بنا فقد تتاح لنا أوقات طوال يكثر فيها بيننا الحديث.

ونهضت معها وليس في نفسي ريب في أنها قد نصحت لي وأخلصت في النصح والود، وفي نفسي بعض الأمل في أنها ستعينني يوماً ما على تحقيق ما أريد.